## المحاضرة - 12 -

**عنوان المحاضرة:**

فرنسا تخرج عن المظلة الأمريكية — France out of the US parachute

ثانياً: أزمة الكتلة الشيوعية — Second: the crisis of the communist bloc

١- رومانيا تتمرد على التسلط السوفيتي — 1- Romania rebels against Soviet domination

٢- الرفاق الأعداء (الخلاف الصيني – السوفيتي) — 2- Enemy Fellows (Sino-Soviet Dispute)

أ- الخلاف الأيديولوجي — A- Ideological disagreement

**محتوى المحاضرة:**

## فرنسا تخرج عن المظلة الامريكية:

بدأت محاولات فرنسا الجدية للخروج من التبعية التامة للسياسة الأمريكية مع عودة الزعيم الفرنسي (شارل ديغول) إلى السلطة في فرنسا عام ١٩٥٨. إذ كان أول عمل قام به هو طلبة خطياً من الرئيس الأمريكي (آيزنهاور) استبدال القيادة الأمريكية لحلف شمال الأطلسي بقيادة ثلاثية تضم إلى جانب امريكا كل من فرنسا وبريطانيا. إلا أن هذا الطلب لقي عدم قبول من قبل مختلف الأطراف كل لأسبابه:

أ- من الولايات المتحدة باعتبارها صاحبة القوة النووية الأساسية في الحلف والتي اعطتها صلاحية القيادة بموجب انظمة الحلف.

ب- من بريطانيا التي كانت لا توافق على معارضة الولايات المتحدة انطلاقا من موقف تاريخي تمثل بدعم متبادل منذ اكثر من قرن. وكما وصف كسينجر العلاقة الامريكية البريطانية بانها " لا ترتكز على اجراءات شكلية وانما هي تعكس الثقة المشتركة والثقافة المشتركة، انها علاقات من نوع لا يحدها مطلب قانوني او وثيقة مكتوبة".

ج- من باقي اعضاء الحلف كألمانيا وايطاليا الذين لم يرحبا بمثل هذا الطرح كونه يستثنيهما. لذلك تأجل الطرح الفرنسي حتى ولاية كندي والتي عاد خلالها النشاط الفرنسي لتعزيز دوره الاقليمي والدولي بشكل مستقل عن السياسة الأمريكية، وجاء ذلك بعد أن استجدت عدة أمور على الساحة الدولية من بينها:

١. طرح كندي لفكرة الاندماج الاوربي في وحدة متكاملة يكون للولايات المتحدة فيها الدور القيادي في الجانب العسكري وعلى وجه الخصوص السلاح النووي الذي تحتكر انتاجه وتوزيع قواعد.
٢. اسلوب ادارة ازمة الصواريخ الكوبية من قبل الادارة الامريكية والذي كشف عن تجاوز الاخيرة لمصالح حلفائها فضلاً عن التشاور معهم . لذا فقد وجدت فرنسا انها لا يمكن ان تكون تابعاً للقرارات الأمريكية وتقبل نتائجها بدون تشاور مسبق معها وانما يجب ان تكون شريكا في ادارة الازمات واتخاذ القرارات المهمة فيها .
٣. رأى ديغول ان أوربا لم تعد المركز الرئيس للمواجهة بين القطبين الرئيسيين، وانما انتقلت ساحة المواجهة إلى مناطق اخرى من العالم في اسيا وافريقيا وامريكية اللاتينية، لذا فان خطر المواجهة على الساحة الاوربية بدأ يضمحل او تقل اهميته.
٤. تراجع السوفييت عن المواجهة العسكرية افرز حقيقة واضحة ومهمة وهي ان السوفييت ليس بالخطر العسكري الداهم على أوربا وانما أثبتت الوقائع ان القيادة السوفيتية تعي تماماً مخاطر استخدام القوة العسكرية وخاصة السلاح الذرى . فضلاً عن ذلك فان السوفييت ابدوا مرونة كبيرة في طروحاتهم الايديولوجية لاسيما طرحهم فكرة ( التعايش السلمي) بين العالمين الاشتراكي والرأسمالي.

لذلك كله أشار الرئيس الفرنسي شارل ديغول إلى رغبته بالعمل على الاستقلال في قراراته العسكرية، وفي ذلك يقول ديغول إلى أن : فرنسا تريد ان يكون لها دفاعها المستقل أن المبادئ والوقائع تتفق مع دعوة فرنسا لبناء قوة ذرية مستقلة وان هذا لا يمنع من المشاركة مع قوة الحلفاء غير أن مسألة الاندماج بالنسبة الينا هي شيء لا يمكن تصوره.

وانطلاقاً من هذا التوجيه بدأ الجنرال ديغول باتخاذ الخطوات اللازمة لتطبيقه:

١. اتجاه فرنسا لأقامه محور فرنسي - الماني لمواجهة آثار الحرب الباردة واتخاذ قرارات مستقلة فيما يتعلق باوربا وحلف شمال الأطلسي، ومسألة دخول بريطانيا إلى المجموعة الأوربية. وقد حصلت عدة لقاءات بين ديغول والمستشار الالماني الغربي (اديناور) اسفرت عن توقيع اتفاقية التعاون عام ١٩٦٣، وفيها تم التأكيد على التعاون المشترك والتشاور وتنسيق المواقف بين البلدين فيما يتعلق باوربا والحلف الأطلسي والعلاقة مع المعسكر الشيوعي. وبالرغم من تماشي المانيا مع الموقف الفرنسي الا انه لم يصل إلى مستوى الطرح التي تبناه ديغول في الوقوف بوجه القيادة الأمريكية للحلف.
٢. تصاعد خطوات امتلاكها للسلاح الذري والذي بدأ عام ١٩٦٠ بأجراء تجاربها النووية في صحراء الجزائر، وذلك بهدف تكوين ترسانة نووية مستقلة بعيدة عن التحكم الأمريكي، كما أن فرنسا رفضت التوقيع على اتفاقية حظر التجارب على الأسلحة النووية الموقعة في موسكو عام ١٩٦٣.
٣. وفي خطوة تهدف إلى تأكيد استقلال قراراتها السياسية والعسكرية فقد اعلنت فرنسا بانه وان كانت عضو في الحلف الأطلسي إلا انها غير معنية بجانبه العسكري الذي يحتاج إلى اعادة تقييم والى ادخال تعديلات في اسلوب ادارته. وقد فسر ذلك بانه بداية الخروج عملياً من الحلف الذي يقوم اصلاً على موضوعة الدفاع وتوزيع الأدوار العسكرية عند الازمات. وتطبيقاً لهذا القرار لم تشترك القوات الفرنسية في مايس عام ١٩٦٥ في مناورات الحلف، ثم تلاه قرار ديغول بالانسحاب من القيادة العسكرية الموحدة للحلف في ١٢ آذار عام ١٩٦٦ . وفي عام ١٩٦٩ طلب من الحلف الجلاء عن الاراضي الفرنسية (والتي كانت موجودة هناك منذ عام ١٩٥٠).
٤. اتبعت فرنسا سياسة مستقلة عن الولايات المتحدة الامريكية في التعامل مع المعسكر الشرقي. في بداية ١٩٦٤ اعترفت بالصين الشعبية وقطع العلاقات مع فرموزا(تايوان) وذلك خلافا للرغبة الامريكية. أما في ما يخص الاتحاد السوفيتي فقد شهدت الفترة ما بين ١٩٦٤ - ١٩٦٨ انتعاش العلاقة الفرنسية السوفيتية كان من أبرز ملامحها زيارة ديغول الى موسكو في حزيران من عام ١٩٦٦ والتي اتفق خلالها على استقلال القرار الأوربي عن المظلة الأمريكية تبع ذلك زيارات متبادلة لوزراء خارجية البلدين. وان رأت موسكو بأن علاقتها مع فرنسا والموقف الفرنسي المستقل احدى حلقات اضعاف الغرب الرأسمالي، إلا أن فرنسا افشلت هذا الاعتقاد بموقفها الرافض والمندد بالغزو السوفيتي لأراضي جيكوسلوفاكيا عام ١٩٦٨، كما أن التقارب الدوري الالماني لم يعطي الثمار التي كانت تتوقعها موسكو في ايجاد محور اوربي غربي مناهض للولايات المتحدة الأمريكية او على الأقل مستقل عنها. كما أن سلطة ديغول الداخلية بدأت في عام ١٩٦٨ بالاهتزاز من خلال المظاهرات المالية والطلابية المناهضة للرئيس ديغول وسياسته الداخلية والخارجية. وقد بقت الديغولية في فرنسا عنواناً للاستقلال في السياسة الخارجية وأصبحت تياراً مهماً في فرنسا.

## ثانياً: أزمة الكتلة الشيوعية

عندما تشكل حلف وارشو عام ١٩٥٥ بين كل من الاتحاد السوفيتي، بولندا، المجر، رومانيا، بلغاريا والمانيا الشرقية كان الهدف منه إيجاد جبهة موحدة لمواجهة الحلف الأطلسي بعد إن تم تقسيم العالم على أساس ايديولوجي وعلى الرغم من قيام هذا الحلف على أسس ايديولوجية وعسكرية وسياسية مشتركة.

إلا أن بوادر الضعف في العلاقة بين دوله بدأت تدب فيه بشكل واضح وذلك مع بداية العقد السادس من القرن العشرين ولأسباب عدة:

أ- الشعور بأن هذا الحلف كيان مصطنع انشأه الاتحاد السوفيتي لدعم مواقفه في حربة الباردة ضد الولايات المتحدة لذا فكانت قيادة الحلف واستراتيجيته وصنع القرار فيه سوفيتية بشكل كامل مما ولد شعوراً بتسلط السوفيت على مقدرات تلك الدول به.

ب- ازدياد المشاعر القومية لدى شعوب دول الحلف في الوقت الذي تنظر فيه النظم الشيوعية للمشاعر القومية نظرة عداء كونها تمثل أساساً برجوازياً مرفوضاً بالنسبة لها.

ج- الهزيمة الاعتبارية والعسكرية للاتحاد السوفيتي مع الولايات المتحدة في أزمة كوبا عام ١٩٦٢ والتي ألقت على مصداقية دعم السوفيت لحلفائهم ضلال كثيفة من الشك، لاسيما أن الرئيس الكوبي قد أشار إلى أنه لم يحدث خلال أيام الأزمة أي تبادل للآراء مع السوفيت وانهم توصلوا إلى اتفاق لإنهاء الأزمة دون التشاور معه.

لهذه الأسباب وغيرها ظهرت بوادر ابتعاد بعض دول الكتلة الشيوعية عن الفلك السوفيتي بعد ان كانت في السابق لا تجرؤ حتى بالوقوف بوجه الساسة السوفيت.

وقد اعتبر النموذج اليوغسلافي الذي تبناه الرئيس جوزيف بروز تيتو والمتمثل بالاستقلال الفكري والسياسي والعسكري عن الاتحاد السوفيتي مقبولاً لدى العديد من دول حلف ورشو ومن بينهم رومانيا.

## ١- رومانيا تتمرد على التسلط السوفيتي

منذ عام ١٩٥٨ استطاعت رومانيا ان تبدأ الخطوة الأولى بالابتعاد عن الهيمنة السوفيتية، وذلك بإجبارها الاتحاد السوفيني علي سحب قواته من رومانيا (وكانت تلك القوات موجودة منذ الحرب العالمية الثانية) مما أعطى القادة السياسيين الرومانيين القدرة والحرية في التعامل بنوع من الاستقلالية بعيداً عن التبعية السوفيتية وإن لم تصل إلى حد الابتعاد الكامل.

وتأتي الأوضاع الدولية لتساعد رومانيا على اتخاذ خطوات أكبر وأكثر جرأة في تأكيد استقلاليتها عن السياسة السوفيتية، الأمر الذي لم تستطع فعله دول عديدة في أوربا الشرقية، فقد ساعدت أجواء الوفاق بين الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة والتي سادت بعد أزمة الصواريخ الكوبية عام ١٩٦٢، فضلاً عن الهزيمة الاعتبارية والعسكرية التي مُني بها السوفيت في هذه الأزمة على أن تخطو رومانيا خطوات عملية مهمة، ثم يأتي الخلاف العميق الايديولوجي والسياسي ومن ثم العسكري بين أكبر دولتين شيوعيتين في العالم الصين والاتحاد السوفيتي لتمثل حالة انشقاق في المعسكر الشيوعي شَجَّع أطراف أخرى على أن تتخذ المواقف من هذا الخلاف طبقاً لمصالحها القومية. لذلك ومنذ عام ١٩٦٣ قامت رومانيا بعدة إجراءات بعيداً عن المظلة السوفيتية، بل وتتناقض معها ومع سياسة الاتحاد السوفيتي وحلف وارشو الذي يتزعمه السوفيت. ففي ذلك العام أقامت رومانيا علاقات تجارية مع المانيا الغربية من خلال افتتاح بعثة تجارية في العاصمة الرومانية (بوخارست) وقيامها باستيراد الآلات والمعدات الألمانية الغربية، ومن ثم إقامة علاقات دبلوماسية معها في ٣٠ كانون الثاني ١٩٦٧. وذلك رغماً عن القرار السوفيتي الذي منع الدول التابعة لحلف وارشو من الاعتراف أو التعامل مع تلك الدولة.

وبالرغم من اعتبار الاتحاد السوفيتي وحلفاءه ذلك (خيانة) إلا أن رومانيا لم تهتم، بل نظرت إلى الفوائد المتأتية من هذه العلاقة، إذ زاد التبادل التجاري إلى (٤٢%) عام ١٩٦٧، كما بلغت القروض من المانيا الغربية إلى رومانيا مليارين ومائتا مليون مارك، فضلاً عن المشاريع الصناعية الكبرى التي بدأت المانية الغربية بالمساهمة فيها داخل رومانيا، ثم بدأت بإقامة علاقات اقتصادية مع يوغسلافيا ذات الخط المستقل ايديولوجياً وسياسياً وعسكرياً في المعسكر الشيوعي.

وفي عام ١٩٦٤ أعلنت اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الروماني (إن من حق كل دولة اشتراكية أن ترسم لنفسها وتتبني الأشكال والوسائل التي تراها صالحة من أجل بناء الاشتراكية وإنه لا يمكن أن يكون هناك حزب أب وحزب ابن) وذلك بالإشارة إلى العلاقة بين الحزب الشيوعي السوفيتي والروماني كما إنها اتخذت قراراً بإلغاء تعليم اللغة الروسية في المدارس الرومانية وقلصت الخدمة العسكرية الإلزامية.

ولتأكيد استقلاليتها وتعميقها امتنعت رومانيا عن حضور مشاورات حلف وارشو، كما إنها لم تسمح بإقامة مثل هذه المناورات على أراضيها، الأمر الذي جعل التوقعات تذهب (من قِبَل المحللين السياسيين)، بأن السوفيت سوف يقومون بعمل عسكري ضد رومانيا لاسيما إنهم بعثوا بإشارات محذرة في هذا الشأن عند اجتماع وزراء حلف وارشو قرب الحدود الرومانية (في أوكرانيا الغربية) في أيار من عام ١٩٦٥. إلا أن التحذيرات السوفيتية لم تزد القادة الرومانيين إلا إصراراً على مواقفهم في إتّباع سياسة خارجية مستقلة لاسيما في العلاقة مع الصين ويوغسلافيا والغرب على غير وقع السياسة الروسية.

في أيار ١٩٦٦ وبعد لقاءه بالزعيم اليوغسلافي (تيتو) صَرَّح الرئيس الروماني نيكولاي تشاوسسكو بأنه "مصمم على صيانة استقلال بلاده وإن الأحلاف العسكرية أصبحت فاقدة لروح العصر، وانها لم تعد تتفق مع اعتبارات السيادة القومية، كما وتعرقل إقامة علاقات طبيعية بين الدول، الأمر الذي يفرض حَلّها الو التخلص منها.

في حزيران من عام ١٩٦٦ استقبلت بوخارست (عاصمة رومانيا) رئيس وزراء الصين (شوان لاي) في الوقت الذي تصاعدت فيه الخلافات السوفيتية - الصينية فضلاً عن استقبالها لعدد من المسؤولين الأمريكيين كما أقامت علاقات دبلوماسية مع(إسرائيل) على الرغم من قرار السوفيت بعدم اقامة مثل هذه العلاقات بسبب طبيعة العلاقة العربية - السوفيتية. كما انتقدت رومانيا بشدة الغزو السوفيتي لتشكوسلوفاكيا عام ١٩٦٨.

## ٢- الرفاق الأعداء (الخلاف الصيني – السوفيتي)

يمكن اعتبار انتصار الحزب الشيوعي الصيني في حربه ضد القوى المدعومة من الغرب والمتمثلة بقوات تشان كاي شك، واستلامه للسلطة في بكين عام ١٩٤٩ دون مساعدة مباشرة من الجيش الأحمر السوفيتي، كما حصل مع عدد من الدول الشيوعية في أوربا الشرقية، له الأثر المهم والفعال في تمكن الصين من أن يكون لها قرارها المستقل في الجوانب الأيديولوجية والسياسية، الأمر الذي كان السوفيت ينظرون اليه بشيء من الريبة وعدم الارتياح انعكس ذلك على العلاقة بينهما، والتي بدأت منذ عام ١٩٥٨ تأخذ بالتأزم انطلاقاً من أسباب عدة:

**أ- الخلاف الأيديولوجي:**

بدأت بوادر التقارب الامريكي – السوفيتي تأخذ أبعاداً أكثر وضوحاً في نهاية الخمسينيات، لاسيما عندما نادى خروشوف (بالتعايش السلمي) مع الغرب في المؤتمر العشرين للحزب الشيوعي السوفيتي عام ١٩٥٦. وفي هذا المؤتمر أشار خروشوف الى أن الإمبرياليين أخذوا يسلمون بأن سياسة التحدث من مركز القوة قد فشلت وإن ثمة أعراض من السلوك الهادئ أخذت تظهر فيهم وهذا يعادل القول أن الأمريكيين قد تخلوا عن سياستهم القائمة على الحرب والعدوان وبأنهم أصبحوا من القوى المدافعة عن السلام. هذا التوجه وهذا الطرح عدَّه الصينيون خروجاً بل تخلياً عن النهج الشيوعي بأصوله الماركسية اللينينية التي يتبناها القادة الصينيون وعلى رأسهم الزعيم ماو تسي تونغ، والذين كانوا ينتظرون تصعيد المواجهة مع الغرب الرأسمالي لا سيما بعد امتلاك السوفيت لعناصر القوة النووية والصاروخية.

ولمعرفة طبيعة النهج الصيني في مواجهة الغرب الرأسمالي، نشير إلى أقوال ماو في هذا الصدد إذ يؤكد: "يجب أن يعرف كل شيوعي الحقيقة القائلة بأن البندقية هي مصدر القوة". وفي مكان آخر يشير إلى احتمالات المواجهة ونتائجها قائلاً "إذا ما بلغت الأمور أسوء حالاتها وهلك نصف البشر فأن النصف الآخر سوف يبقى بينما تُمحى الإمبريالية من على وجه الأرض ويصبح العالم بأسره اشتراكي المذهب".

في مؤتمر بوخارست (٢٠ حزيران عام ١٩٦٠) للأحزاب الشيوعية طفح هذا الخلاف على السطح وأصبح يأخذ طابع المواجهة الكلامية المباشرة. فقد وجهت الصين في هذا المؤتمر انتقاداً حاداً للاتحاد السوفيتي بسبب تبنيه سياسة المهادنة والتعايش مع الغرب، وجاء رد خورشوف عنيفاً، إذ وصف ماو بأنه (ستالين جديد) لا تهمه مصلحة إلا مصالحه الخاصة وإنه (يتشدق بنظريات عتيقة لم تعد تصلح للعصر الحالي) ووصفه بأنه مُتَزمت ومتطرف، وذكر المؤتمر بأن الصينيين هم من خذلوا الاشتراكية عندما وضعوا العامل القومي أساساً في نزاعهم مع الهند (ممّا كلف القضية الاشتراكية ثمناً باهضاً). في تموز من نفس العام أوقف خروشوف إصدار جريدة (الصداقة) وهي جريدة صينية تصدر في موسكو . وبدأ الاعلام السوفيتي يصف الطرح الصيني بالانحراف.

وجاءت أزمة الصواريخ الكوبية وتراجع السوفيت فيها لتعطي المبرر للصين من إثبات طرحها المُتَهِم للسوفيت بتخاذلهم (أمام الغرب الإمبريالي) ووجهت الصين انتقادها أيضاً للاتفاق الذي عُقِدَ عام ١٩٦٣ الخاص بالحظر الجزئي على التجارب النووية وعدَّته (محاولة لمنع جميع الأقطار المُحِبة للسلام ومنها الصين بزيادة قدرتها الدفاعية بحيث تبقى الولايات المتحدة أكثر حرية في تهديد الدول وابتزازها).

لقد وجدت الطروحات الصينية الصادي في العديد من الأحزاب الشيوعية في أوربا وآسيا مثلاً في بلجيكا واستراليا والهند وبيرو، بل إن بعض الدول الشيوعية اعتبرتها فرصة للابتعاد عن الفلك السوفيتي وبناء قراراتها وسياساتها بشكل مستقل كما في رومانيا وألبانيا. لم يتأثر هذا النزاع بتغير القيادة السوفيتية حتى عام ١٩٦٤ عندما أُقصي خروشوف وحَلَّت محله قيادة جماعية متمثلة بـ ( برجنيف - وكوسيغن وبدغورني). إذ استمر السجال الأيديولوجي بين الطرفين كُلٌ يدعي تطبيقه للنظرية الاشتراكية ويتهم الآخر بالخروج عنها.

في عام ١٩٦٦ قاد ماو تسي تونغ ما أطلق عليها (بالثورة الثقافية) وهي محاولة لترسيخ الأفكار الشيوعية الصينية في أجهزة الدولة في الصين وإبعاد العناصر التي لا تتفق وهذه الأفكار وهي في الواقع عناصر متعاطفة مع الطرح السوفيتي، لذا اتهموا بأنهم أُصيبوا بعدوى (التحريفية السوفيتية) التي انتقلت من روسيا إلى الصين. وكان أول ضحايا هذه الثورة رئيس الدولة ليو تشاو تشي والذي كان متأثراً بالمدرسة السوفيتية التي تتلمذ فيها منذ بداية الحكم البلشفي.